مركز تكامل للدراسات والأبحاث

قراءة في كتاب

# قبيلة بني بودلال: التاريخ والمجتمع


## عبد الرحيم بودلال

باحث في علم الاجتماع.


25 يوليوز 2024


ALL RIGHTS RESERVED

جميع الحقوق محفوظة

يعد الكتاب "قبيلة بني بودلال: التاريخ والمجتمع" الأول من نوعه المتخصص في نقل تاريخ قبيلة بني بودلال من الثقافة الشفهية إلى الثقافة المكتوبة، من ذاكرة يتم تداولها في المناسبات العامة تُنقل عبر الفانتازيا والفلكلور وغناء "أحيدوس" والمواويل والطقوس العامة الحاملة لدلالات ورموز قديمة، إلى تاريخ رسمي شامل للقبيلة.

فرض الكتاب راهنيته بوجود ثلة من الباحثين أبناء القبيلة المتخصصين في مجالات علمية مختلفة، وبوجود أسئلة مستفزة حول مواضيع وفترات مهمة في تاريخ القبيلة وثقافتها وأصولها الاجتماعية والعرقية، وفي ظل غياب تاريخ واضح حولها فقط ذاكرة جمعية تستحضر بعض المحطات تضخم بعضها وتضعف الأخرى. كما أن أغلب رجال القبيلة الكبار في السن الذين كان لهم إلمام ببعض الأحداث القديمة قد توفوا، والبعض من الأحياء بدأت ذاكرته تضعف. وأيضاً في ظل تنامي موجات العولمة التي غيرت من معالم بعض الطقوس والتي فرضت فنون وطرق جديدة على الشباب الصاعد مخالفة للتراث.

هدفَ هذا العمل إلى توثيق تاريخ قبيلة بني بودلال اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، مستعيناً بما توفر لديها من وثائق مكتوبة ومن مخطوطات، وما يوجد من مرويات شفوية وذاكرة شفهية، وذلك للوقوف على أهم المحطات التي مرت بها القبيلة وما عقب ذلك من ظواهر اجتماعية أثرت على البنية الداخلية للقبيلة. وكذا محاولة تقديم تأويل وتفسير لبعض الطقوس الدينية والتبادلات الاجتماعية وفق المفاهيم والنظريات الأنثروبولوجية. ثم تقديم قراءة للحياة الراهنة من خلال البحث في الواقع الحالي والمعيش اليومي، والعادات والأعراف والثابت والمتحول منها، ثم معرفة التحولات التي رافقت أفراد القبيلة عند الانتقال من البادية إلى المدينة، وما عقب ذلك من تغير في الأدوار. ثم حجم الاقتصاد ومستوى التمدرس وحجم الخدمات، ودور الجالية في خلق الثروة. مستعينين بذلك بمفاهيم وأطروحات سوسيولوجية تعنى بدراسة ظواهر الفقر والهشاشة والتنمية.

كتب الكتاب كل من الباحث حسن بودلال وهو متخصص في التاريخ الوسيط يبحث في علاقة الانسان بالحيوان وبالمجال عموماً، والباحث عبد الرحيم بودلال المتخصص في سوسيولوجيا المدينة وفي التنمية الاجتماعية، ثم الباحث زهير نياش المتخصص في تاريخ القبائل بالمنطقة خصوصاً قبيلة بني يزناسن. صدر الكتاب في يناير 2024 بالقطع الصغير، يضم 145 صفحة. يضم سبعة فصول بالإضافة إلى بيبوغرافيا وملاحق، يتحدث الفصل الأول حول قبيلة بني بودلال بين التاريخ والذاكرة، والفصل الثاني يضم العادات والتقاليد خصوصاً التبادلات الاجتماعية والزواج، والفصل الثالث عن تقسيم العمل بين البادية والمدينة والأدوار التي أفرزها، والفصل الرابع حول تحول القبيلة من تنظيم "اجماعة" إلى تنظيم الجمعية المدنية وحدود تدخل كل واحد منهما، ثم الفصل الخامس حول الدين والتدين لدى أفراد القبيلة، ثم الفصل السادس حول تأثير فيوس كورونا والحظر الصحي على القبيلة والأفراد، والفصل السابع حول الاقتصاد والتعليم ودور الجالية في خلق التنمية داخل القبيلة، ثم في الملاحق تم وضع كل الوثائق التاريخية التي كانت مصدر للمعلومات التاريخية، وتصميم المقابلات البحثية التي تم اعتماده من أجل البحث في الظواهر الحالية.

يبحث الكتاب بداية في مفهوم القبيلة، متجاوزا الدراسات الكولونيالية التي اختصرت القبيلة في روابط الدم والانتماء لأصل واحد هو الجد الأكبر، والتي جعلت القبيلة كياناً جوهرانياً مستقلاً بذاته يصعب احتواؤه أو تنظيمه داخل دولة قومية. تم اعتماد مفهوم ابن خلدون الذي ينص على أن القبيلة يمكن أن تتحد بسبب روابط أخرى متعلقة بالمصلحة والولاءات والأرض وليس فقط الانتماء العرقي. تم اسقاط هذا المفهوم على قبيلة بني بودلال التي بدوها تنتمي إلى تحالفات أخرى كبيرة أهمها قبيلة وريمش وقبائل بني يزنانس.

ثم يبحث الكتاب في معنى اسم "بودلال" ولماذا تسمى الجد الأكبر بهذا الاسم، ويضع كل التعاريف التي قيلت في الموضوع، أهم هذه التعاريف أنه كان يرتدي قبعة يتدلى منها خيط من الصوف يسمى "الدلالة". كما تم البحث في الوثائق والظهائر التي تنص على التوقير والتبجيل، الذي حظيت به القبيلة وميزها بها المخزن عن باقي القبائل، حيث كان يُمنع افرادها من مزاولة بعض المهام "الدنيئة" كالحراسة والأعمال الشاقة، كما كان تحظى بميزة التحكيم بين القبائل الأخرى. ووجد لديها قضاة وعدول قاموا بممارسة مهمة القضاء داخل مناطق كثيرة.

ثم يبحث الكتاب في الأماكن الأولى لسكن القبيلة، وأهم المعالم التاريخية من مساجد ومزارات التي كانت تجمعها والمجال الجغرافي الذي احتكرته، ثم الطقوس الشعائرية والمراسيم التي كانت تنظمها وأهم المناسبات العامة. ثم يحكي عن المقاومة المسلحة التي ساندت به القبيلة حركة التحرير الوطنية، وحجم التضحيات التي كانت تبذل.

لينتقل الكتاب إلى البحث في عادات وتقاليد القبيلة، من ذلك الأعراس والطريقة التي كانت تنظم بها وحجم الاستعدادات وطريقة اختيار العروس وطقوس العرس وليلة الدخلة والسبع ليالي من اللعب، وأحيدوس وطبيعة الأغاني التي كانت تردد فيه وطبيعة الهدايا المتبادلة. ثم أشكال التضامن والتعاون داخل القبيلة، من ذلك "توِيزة" التي تعد طريقة جماعية تقدمها الأسر الغنية أو المتوسطة لفائدة الأسر الفقيرة والمعدمة، وفي أشكال أخرى يتم التعاون الجماعي بين أسر كثيرة لقضاء حوائج مشتركة أو مساعدة حالات اجتماعية بعينها. مع تقديم قراءة أنثروبولوجية في الموضوع.

ثم مبحث آخر حول تقسيم العمل داخل الأسر "البودلالية" في مقارنة بين الأدوار التي كان يلعبها الأفراد في القرية وإثر انتقالهم إلى المدينة، بالتركيز بالخصوص على دور المرأة، حيث حظيت بأدوار جديدة داخل المدينة وإن كانت محدودة وقليلة، كما تم التقليص من دور الأب.

ثم قبيلة بني بودلال من تنظيم الجماعة إلى تنظيم الجمعية، وهل استطاعت الجمعية المدنية أن تعوض دور الجماعة؟ ثم هل استطاعت أن تؤسس لقيم جديدة داخل المدينة مرتبطة بقيم المواطنة وحرية التعبير والتواصل وأن تقوي من المشاركة السياسية. وأن تنوع من أنشطتها الجديدة مثل التكوين والتأطير المدني وأن تحافظ على الجانب العلائقي الذي أسسته الجماعة.

ثم البحث في نمط التدين لدى أفراد القبيلة في سياقه التاريخي وأهم التغيرات التي طرأت عليه سواء بتأثر من موجات الصحوة الإسلامية والدعاة الجدد أو بتدخل جماعات دينية محلية، وإلا أي حد حافظت على نمطها التقليدي العريق، ثم هل هو نمط من التدين المساعد على التنمية والاستثمار والانفتاح على الواقع، ولديه موقف إيجابي من المرأة والممارسة السياسية أم تدين معيق للتعليم والتواصل ومحدٌ من الحرية.

ثم يبحث الكتاب عن فترة مهمة من تاريخ القبيلة وهي فترة وباء كوفيد 19، والحظر الصحي، حيث دخول الوباء إلى المدينة كان بسبب فرد من القبيلة دخل من دولة أوروبية، لهذا كيف تعاملت الأسر مع الوباء في البداية، ثم عدد الأفراد الذين أصيبوا بالوباء والتواريخ، ثم تصور الأفراد للوباء في البداية، وكيف أثر عليهم صحياً ونفسياً واجتماعياً، كيف تعاملوا معه من خلال حجم الالتزام بالتعاليم من تباعد ووقاية، وحجم التغيرات التي طرأت على الروابط الاجتماعية داخل القبيلة من منع لمناسبات وتجمعات وتضييق على الزيارات. ثم كيف واجه أفراد القبيلة الإشاعة المغرضة بكونهم السبب في قدوم الوباء إلى المدينة.

ثم يبحث الكتاب في الأخير في التعليم والتنمية داخل القبيلة، بالاعتماد على استمارة تم توزيعها على كل الأسر تشمل البيانات التالية؛ نسبة البطالة ونسبة الأمية العامة ونسبة الأمية لدى الجنسين ذكر وأنثى والمستوى التعليمي للأفراد، ونسبة الهدر المدرسي، ونسبة الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، ونسبة الأمراض المزمنة في الأسر، ثم نمط السكن. ثم البحث في الأسر القاطنة بالمهجر بالأخص إسبانيا وفرنسا وحجم الامدادات المالية والمساعدات التي تقدمه للأسر في الداخل. كل هذا من أجل رسم صورة واضحة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للقبيلة.

وفي الملاحق تم وضع كل الوثائق التاريخية والمستندات التي تم اعتمادها من أجل الوصول إلى معلومات صحيحة، ثم دليل المقابلات التي أجراها الباحثون مع فاعلين بعينهم، ثم شجرة النسب التي تحتوي كل فروع القبيلة وتمفصلاتها الكثيرة.